جامعة الفيوم
كلية دار العلوم

أسئلة وإجابات الفرقة الرابعة لمادة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
للدكتور/ صلاح الدين محمد نوار

السؤال الأول:

١- نظام الوزارة والوزراء في العصر الإسلامي من حيث:

أ- معنـي واشـتقاق لفـظ الـوزارة وأهـم الآراء التـي دارت حولهـا (٣ درجات).

ب- نظـام الـوزارة فـي المـشرق الإسـلامي مـع مقارنتهـا بنظـام الـوزارة فـي المغـرب والأنـدلس (٣ درجات).

إجابة السؤال الأول

اتفقـت كتـب اللغـة ومؤرخـو الـنظم الإسـلامية علـي أن اشتقاق لفظ الوزارة علي ثلاثة أوجه، أحـدها أنـه مـن الـوزر وهـو الحمل الثقيل، لأنه يحمل عن الملك أثقاله، والثـاني أنـه مـشتق من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقـوي بـوزيره كقـوة البـدن بظهـره، والثالث أنه مشتق من الوزر وهو الملجأ والجبل المنيع وكل معقل وزر، ومنه قوله تعالي:(كلا لا وزر) أي لا ملجأ، لأن الملك يلجأ إلي رأيه ومعونته، لأن عليه مدار السياسة وإليه تفوض الأموال.

والوزارة كما يري ابن خلـدون أم الخطـط الـسلطانية والرتـب الملوكية لأن اسمها يدل علي مطلق الإعانة.

وقـد جـاء فـي القـرآن الكـريم علـي لـسان موسـي عليـه السلام: (واجعل لي وزيرا من أهلي هـرون أخـي اشـدد بـه أزري وأشركه في أمري).

وروى عـن النبـي ρ أحاديـث يـذكر فيهـا لفـظ الـوزير، فعـن الترمذي أنه كان للنبي عليه السلام أربعـة وزراء، اثنـان مـن أهـل السماء، واثنان من أهل الأرض هما أبو بكر وعمر. وذكر المـارودي أنه روى عن النبي ρ أنه قال: "ما من رجل من المسلمين أعظـم أجرًا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعـالي". وروى عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ρ: "إذا أراد الله بالأمير خيـرا جعل له وزير صدق، إن نـسي ذكـره، وإن ذكـر أعانـه، وإذا أراد الله به غير ذلك وورد عن علي بن أبي طالـب، قـال: "قـال رسـول الله ρ: وقد أورد المؤرخون العرب ضـمن حـديث سـقيفة بنـي سـاعدة قول أبي بكر للأنصار: "نحن الأمراء وأنتم الوزراء".

ويدفعنا ذلك إلي التساؤل هل عرفت الدولة الإسلامية نظام الوزارة في صدر الإسلام؟

والإجابة القاطعة عن ذلك، أن منصب الوزير لم يعرف ولم يتحدد اختصاصه إلا بعد فترة من قيام الدولة العباسية، فإن بساطة الإسلام وسذاجة الدولة في أول عهدها جعلت الحاجة إلي هذه الوظيفة معدومة.

فالرسول صلوات الله عليه كان رأس الدولة عند نشأتها، وكان عليه الصلاة والسلام يجمع في يديه السلطتين الدينية والزمنية، وكانت الثانية تخضع إلي حد كبير للناحية الدينية التي كانت تسير في الحدود التي رسمها الشرع ويصدر بها الوحي. إلا أن النبي في بعض الحالات التي تتعلق بأمور الدنيا وصالح الجماعة كان يشاور أصحابه، ويأخذ بآرائهم في كثر من الأمور، ويستعين ببعض خاصته مثل أبي بكر وعمر في قضاء مهام الدولة العامة، حتي كان بعض العرب ممن اختلطوا بالفرس والروم والحبشة يسمون أبا بكر وزير النبي.

ويقول صاحب الفخري: "واختلف المتكلمون في كون الله تعالي أمر رسوله بالاستشارة مع أنه أيده ووفقه، وفي ذلك أربعة وجوه أحدها انه عليه السلام أمر بمشاورة الصحابة استمالة لقلوبهم وتطييبا لنفوسهم، والثاني أنه أمر بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه، والثالث أمر بمشاورتهم لما فيه النفع والمصلحة، والرابع أنه إنما أمر بمشاورتهم ليقتدي به الناس، وهذا عندي أحسن الوجوه وأصلحها".

كما كان الرسول يستعين ببعض من يحسن الكتابة، ويخصص لكل فريق عملا يقوم به، فيذكر الجهشياري أن عليًا بن أبي طالب وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكان خالد ابن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه، وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس، وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء، وكان زيد بن ثابت يكتب إلي الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي.

وقد سار أبو بكر في إدارته للدولة الإسلامية علي نفس طريق النبي، إذ كان يستشير الصحابة ويستأنس برأيهم، وكان عمر يلي القضاء لأبي بكر، وأبو عبيدة علي بيت المال قبل أن يسيره إلي الشام. ومن كتابه علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان، وكان يكتب له من حضر.

وكانت الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر هي الجزيرة العربية، وقد جزأها إلي ولايات، وجعل علي كل ولاية أميرا له إمامة للصلاة والفصل في القضايا وإقامة الحدود.

وكان عمر- بدوره- عندما ولي الخلافة- لا يبرم أمرا إلا إذا استشار كبار الصحابة، وكان له خاصة من كبار أولي الرأي منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر، وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب ونظراؤهم.

ولكن طرأ عامل جديد له أهميته في عهد عمر، فالدولة الإسلامية قد اتسعت شرقا وغربا، وضمت بلادا تراثها ونظمها الإدارية وأخذت الأموال تتدفق علي المدينة، واستدعت الحالة تدوين الدواوين على مثل دواوين الفرس والروم، والسبب فى تدوين الدواوين أن عامل عمر علي البحرين أتاه يوما بخمسمائة ألف درهم فاستعظمها وجعل عليها حراسا في المسجد، فأشار عليه بعض من عرفوا فارس والشام أن يدون الدواوين يكتبون بها الأسماء، ودونها له عقيل بن أبي طالب ومحزمة بن نوفل وجبير بن مطعم.

والديوان، الدفتر الذي يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطاء، وعرف الديوان بأنه موضع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطة من الأعمال والموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، وأطلق بعد حين علي جميع سجلات الحكومة، وعلي المكان الذي يجلس فيه القائمون علي هذه السجلات والأضابير والطوامير ولما دون عمر الدواوين استخدم محمد بن شاهين الزهري كاتبا للجيش.

وإلي جانب ديوان الجيش، كان يوجد دواوين للخراج والموال في الأقاليم المفتوحة، وكانت دواوين الشام تكتب بالرومية، ودواوين العراق بالفارسية، ودواوين مصر باليونانية أو اليونانية والقبطية.

وإذا عرفنا أن من أهم المهام التي كان يضطلع بها الوزير فيما بعد، الإشراف علي دواوين الدولة وإدارة مالية البلاد، أمكننا القول أن وظيفة كاتب الديوان هذه، هي التي تطورت فيما بعد إلي وظيفة الوزير في عهد العباسيين.

واعتمد عثمان بن عفان في أول خلافته علي مشورة كبار الصحابة، ثم مال إلي الاعتماد علي أهله وعشيرته من بني أمية، واختص به مروان بن الحكم.

وقد حافظ معاوية علي الخطوط العريضة للنظم الإدارية في عهد الرسول والراشدين، ولم يحد عنها إلا فيما قضت به

المصلحة ودعا إليه نظام الحكم الجديد، فكان يتمسك بنظام الشورى وينزل علي حكم مستشاريه في الأمور التي لها مساس بمصلحة الرعية. وإلي جانب هؤلاء المستشارين كان هناك كتاب الدواوين المختلفة، وهي ديوان الجند الذي وضع في أيام عمر وكان بالعربية، وديوان الخراج الذي كان في أقاليم الدولة منذ عهد الفتح، والذي ظل في كل إقليم يكتب بلغته حتي عربت الدواوين في خلافة عبد الملك بم مروان وابنه الوليد، وديوان الرسائل: وعنه تصدر الرسائل إلي الأمراء والعمال، وكان بالعربية وهو ما يعرف بديوان الإنشاء. وقد استجد في عهد معاوية ديوان الحاتم عبد الحميد بن يحيى الكاتب أشهر كتاب بني أمية.

فالخلافة الأموية وإن استحالت إلي ملك استبدادي ، وتمتع الخلفاء الأمويون بطل مظاهر الأبهة التي تمتع بها الملوك والقياصرة خصوصًا في عهد عبد الملك بن مروان ومن جاء بعده من خلفاء، إلا أن وظيفة الوزارة لم تأخذ مكانها ضمن وظائف الدولة، بل ظل الخليفة يعتمد علي كتابة إلي جانب مستشارين يختارهم للاستعانة بآرائهم.

والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس، فإن العباسيين لما قضوا علي الخلافة الأموية بمساعدة الفرس، كان من الطبيعي أن يأخذوا عنهم نظم الحكم والإدارة، فحلت جماعات من الموظفين محل الأرستقراطية العربية التي كانت تحيط بالخليفة الأموي، وقسمت إلي طبقات يسيطر بعضها علي بعض وكان علي رأسها الوزير.

وقد أجمع المؤرخون علي أن أول وزير في الدولة العباسية هو حفص بن سليمان أبو سلمة الحلال الذي كان يعرف بوزير آل محمد، والذي سرعان ما قتل ي\بتحريض من الخليفة السفاح في رجب سنة ١٣٢هـ ولكن الذي لا شك فيه أن الوزارة حتي ذلك الوقت لم تكن قد استقرت نظمها بعد، وأن لقب الوزارة الذي اقترن بأبي سلمة، يقصد به أنه المدبر السياسي للحركة الهاشمية، فهو الذي كان يكاتب الدعاة وبوجههم، حتي إذا انتصرت جيوش ابني قحطبة ودخل الكوفة في المحرم سنة ١٣٢هـ، اظهرا أبا سلمة إليه الرياسة وأسمياه وزير آل محمد وذلك قبل بيعة أبي العباس بنحو شهرين تقريبًا فدبر الأمور باسم الإمامة الهاشمية بدون تحديد لأي من فرعيها، بل أن أبا سلمة عمل من جهته علي جعل الخلافة في ولد عليّ لا لآل العباس، وكان هذا سببًا في قتله بعد أشهر قلائل. فأبو سلمة إذن لم يكن متوليًا لوظيفة خاصة يجري لها قوانين وتنتظم بها دواوين، بل كان

رأسا مفكرًا لحركة ثورية لم تستقر الأوضاع لها بعد فلما استقرت أوضاعها تخلصت منه سريعاً.

ولكن مع ذلك يمكن القول أن ظهور فكرة الوزارة واشتراك الفرس في السلطان الجديد، ثم ظهور وزراء أقوياء فيما بعد مثل البرامكة وبنو سهل أدي بمرور الزمن إلي تكون نظام الوزراء الحقيقي وإلي رسوخه كأساس للإدارة العباسية. ولقد كانت وظيفة الوزراء الأول للعباسيين كوظيفة الكاتب عند الأمويين، فكانوا يعينون ممن يجيدون الكتابة.

ولعد قتل أبي سلمة لم يتسم أحد ممن جاء بعده وزيرا تطيرا مما حدث له، فخالد بن برمك برغم مكانته الكبيرة وإشرافه على ديوان الجند والمال، كان يعمل عمل الوزراء ولا يسمي وزيرا. كما أن أبا أيوب المورياني الذى قلده المنصور الدواوين وغلب عليه غلبة شديدة، حتى قالت العامة إنه سحر أبا جعفر لم يطلق على نفسه لقب الوزير بل" كاتب الخليفة".

ولقد ظلت الوزارة فى خلافة المنصور اسما على غير مسمي، وذلك لاستبداده وبطشه، وكان المنصور يشرف على كل صغيرة وكبيرة ويبت فى أمور الدولة بنفسه ويعمل من صدر النهار إلي وقت متأخر من الليل، مما أدى إلي تركيز السلطة فى يده، ولم يترك أحدا ممن يستعين بهم يعمل برأيه فقط بل ينهى إليه كل ما يعرض له من أمور الدولة قبل البت فيها.

بل إنه لم ينج احد من وزراء السفاح أو المنصور من القتل إلا خالد بن برمك.

فلما تولي المهدي الخلافة(١٥٨-١٦٩هـ) عظم مركز الوزارة واستقرت قواعدها وذلك لأن عصر المهدى كان عصر استقرار سياسي وإداري، فالدولة قد رسخت قواعدها واستقرت أمورها. وانشغل المهدى باللهو وأخذ يترك أمور الحكم لوزرائه، وأعطاهم سلطات واسعة إلي جانب كفاءة ومقدرة وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار الذى كان كاتبا له قبل الخلافة، فقد استطاع أن ينظم الدواوين ويستحدث طرقا جديدة فى جمع الخراج، إلي جانب تفوقه فى الكتابة وعلمه.

ومن هذا الوقت بدأت تتحدد وظيفة الوزير وسلطاته، وبدأت مكانة الوزراء بالظهور فى العصر العباسي وأخذوا فى منازعة الخلفاء سلطاتهم مما أدى إلي كثير من النهايات المحزنة التى تعرض لها الكثيرون منهم.

لقد تولى فى العصر العباسي الأول(١٣٢-٢٣٢هـ)- والذى يعتبر العصر الذهبي للخلافة العباسية- وزراء لعبوا دورا كبيرا فى

تصريف أمور الدولة، وقد كان اختيار أغلبهم يأتى نتيجة تفوقهم فى الكتابة أو الإدارة وإن اشتراك أغلبهم أيضا فى النهاية المحزنة التى انتهوا ‘ليها، ومن هؤلاء الوزراء معاوية بن يسار، ويعقوب بن داود وزير المهدي، والبرامكة – يحيي وأبناه الفضل وجعفر- اللذين قبضوا على أزمة الحكم، وسارت الدولة كلها تحت أيديهم يتصرفون فيها كيف شاءوا، وظلوا يديرون أمورها لمدة سبع عشرة سنة، إلى أن قضى عليهم الرشيد قضاء مبرما سنة ١٨٧هـ كما إنه فى عهد المأمون استحوذ الفضل بن سهل وأخوه الحسن بن سهل-وهم كالبرامكة من الفرس- على النفوذ والسلطان، وكان الفضل يلقب ذا الرياستين، أى رياسة الحرب، ورياسة التدبير، كما كان بأمر مع الوزارة، فكان أول وزير اجتمع له اللقب والتأمير.

وبعد بنى سهل أخذ المأمون يدير شئون الدولة بنفسه وإن استعان بوزراء لم يكن لهم استقلال بالرأى أو التدبير ولم يكونوا يزيدون فى المنزلة على الكتاب وإن التشابه بين سياسة البرامكة وبنى سهل وعلاقتهم بالخليفة وما انتهى إليه أمر كل منهم، يبين لنا حقيقة الصراع بين رجال من الفرس عملوا على إحياء مجد أسلافهم وإرجاع سلطان إيران وبين خلفاء تهاونوا فى حقوقهم أول الأمر ثم حاولوا استدراج ما فات واستعادة سلطتهم، وإن اقتضاهم ذلك إجراءات عنيفة وجل إلي التنكيل بزعماء الفرس ووزرائهم.

السؤال الثانى
البحرية الإسلامية فى مصر والشام من حيث:

١- نشأتها وعوامل قيامها (٣ درجات)

٢- نشاط البحرية الإسـلامي فـى حـوض البحـر المتوسـط مـع مقارنتها بالبحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس (٣ درجات)

<u>إجابة السؤال الثانى</u>

١- نشأة البحرية الإسلامية

يعتبر الانتصار الحاسم الذي أحرزه المسلمون على الجيوش البيزنطية في موقعة اليرموك نقطة تحول هامة في حركة الفتوح الإسلامية أدت إلى انهيا ر قوى الروم وانفصال الشام عن جسم الإمبراطورية البيزنطية. ويذكر المؤرخون أن هرقل عندما بلغه نبأ الكارثة التي حلت بجيشه في وقعة اليرموك رحل إلى القسطنطينية ، فلما تجاوز الدرب الذي يصل أرض الشام بأرض بيزنطة ، نظر إلى الأراضي السورية بأسى وقال يودعها بنظرة : " عليك يا سورية السلام ونعم البلد هذا للعدو" .

وأخذت مدن الشام الكبرى في الشمال والجنوب تتساقط سريعا الواحدة بعد الأخرى في أيدي المسلمين ، أما السواحل فلم يكد هؤلاء ينتهون من فتح دمشق حتى وجه يزيد بن أبي سفيان همه إلى فتح مدن الساحل الفينيقي ، ولم يأت عام ١٧ هـ حتى كان قد افتتح صيدا وبيروت وعرقه فتحا يسيرا ، وفي نفس الوقت كان عبادة بن الصامت يفتتح عنوة مدن الساحل الشمالي وهي اللاذقية وجبلة وأنطرطوس.

وأدى فتح بلاد الشام إلى فتح مصر ، إذ كانت تربطهما منذ أقدم العصور مصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة ، وكثيرا ما ارتبط الشام ومصر معا، بفضل موقعهما الجغرافي والمصالح المشتركة ، في وحدة تاريخية وثيقة ،وكان مصيرهما واحدا خلال فترات طويلة من التاريخ القديم والوسيط.

وسجلت الفتوح الشامية والمصرية تحولا فجائيا في الاستراتيجية الدفاعية للعرب في هذه المرحلة من تاريخهم الإسلامي ، فقد أحسوا بعد أن افتتحوا مدنا ساحلية تمتد من أنطاكية شمالا حتى ساحل برقة غربا بأهمية الدفاع البحري عنها ، في وقت كانوا يدركون تمام الإدراك تخلفهم في الثقافة البحرية ليس بالنسبة لأعدائهم البيزنطيين فحسب، بل بالنسبة لسكان هذه البلاد المغلوب الذين كانوا بحكم تطلعهم إلى البحر قد تمرسوا في خوض مياهه ، ولا شك أن سبب إحساس العرب بالتخلف في المجال البحري يرجع إلى تعرض القسم الجنوبي من بلادهم – وأعني به اليمن وحضرموت وعمان – زمنا طويلا لسيطرة الأحباش الذين استأثروا بالطريق التجاري عبر البحر الأحمر ، ثم لسيطرة الفرس الذين قضوا على تجارة العرب في بحري عمان وفارس(الخليج العربي حاليا) واحتكروا لأنفسهم تجارة الهند، هذا بالإضافة إلى طبيعة بلادهم الصحراوية حيث يندر وجود الأشجار التي تصلح أخشابها لصناعة السفن، وحيث تخلو من معدن الحديد اللازم لصناعة المراسي والمسامير والكلاليب ، باستثناء اليمن، ومن الزفت والقطران ، هذا بالإضافة إلى

صعوبة الملاحة في البحر الأحمر لكثرة ما يعترض السفن فيه من صخور وشعاب مرجانية، ولهذا السبب ، ولأنه يدرك عظم القوى البحرية البيزنطي وسطوتها، عمد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب إلى اتباع سياسة بحرية دفاعية لمواجهة خطر استرداد البيزنطيين لسواحل الشام ومصر ، متوسلا في ذلك بوسائل برية ، كترميم القلاع والمناور والمراقب والمسالح الممتدة بحذاء الساحل ، وشحنها بالمقاتلة والمرابطة ، وظل العرب يتبعون هذه السياسة إلى أن تهيأ لهم تثبيت أقدامهم وبدأوا يؤسسون القوة البحرية الإسلامية حفاظا على سيادتهم على الشام ومصر.

ويرجع الفضل الأعظم في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي إلى معاوية بن أبي سفيان ، عامل الشام في خلافة كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، الذي فطن إلى أهمية الأساطيل في الدفاع عن السواحل أثناء قيام أخيه يزيد بغزو مدن الساحل ، فقد تعرض للكثير من المتاعب في فتح بعض تلك المدن كقيسارية وطرابلس وعسقلان ، أما قيسارية فقد عجز عمرو بن العاص عن فتحها ، إذ كانت تتلقى الإمدادات من البحر ، ويكاد يجمع المؤرخون على أن معاوية هو الذي تولى فتحها قسرا في شوال سنة ١٩هـ(٦٤٠م) وقيل سنة ٢٠هـ. بعد أن كان قد يئس من ذلك ، وأما طرابلس فقد استعصت على المسلمين في ولاية يزيد بن أبي سفيان لمناعتها ووثاقة تحصيناتها ، وكان فتحها يستلزم حصارا بريا وبحريا قد يطول أمده كما حدث في حصار قيسارية الذي دام ما يقرب من سبع سنوات (من جمادى الأولى سنة ١٣هـ إلى شوال سنة ٢٠هـ) فاضطر يزيد إلى إرجاء فتح طرابلس حتى تتوفر لديه الإمكانيات. أما عسقلان فقد فتحها صلحا بعد كيد ، وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة. فلما توفي يزيد ابن أبي سفيان في طاعون عمواس ،وآلت ولاية الشام إلى أخيه معاوية الذي كان يشاركه في فتوحه لمدن الساحل رأى معاوية الحالة السيئة التي وصلت إليها تحصينات المدن الساحلية ، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ووصف له حال هذه السواحل ، ويقترح عليه إنشاء أسطول بحري للغزو في البحر،فرد عليه عمر يأمره بمرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها ،وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها ،ولم يأذن له في غزو البحر. وامتثل معاوية لما أمره به عمر، فحصن الثغور الإسلامية وشحنها بالمقاتلة الذين يرابطون بها طوال فصل الصيف ،ويتولون حراستها في المناظر والأبراج والمناور ، أقطع من ينزل السواحل من المسلمين القطائع والأخائذ. وعلى هذا النحو أصبحت سواحل الشام سلسلة متصلة من التحصينات التي ترابط فيها حاميات مرابطة ، وتنقسم كل منها إلى عرفات أي مجموعات ، وكل عرافة تتألف من مائة رجل ، وكانت هذه التحصينات مزودة بمواقيد يشعلها الحراس والقائمون بالدفاع عن الساحل عند اقتراب سفن الأعداء منه ليلا ، كذلك اهتم عمر بن الخطاب بسواحل مصر ولا سيما بثغر الإسكندرية ، فكان يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية. وقسم عمرو بن العاص أجناده في مصر إلى قسمين متساويين: قسم أبقاه معه في الفسطاط ، وقسم وزعه إلى

نصفين ، أحدهما لرباط الإسكندرية وحدها ، والنصف الثاني لسائر السواحل المصرية،ووكل عمرو بحراسة كوم الدكة قبلي الإسكندرية إلى قبيلة لخم، ومن العجيب أن يعهد عمرو في هذه الأونة إلى قبائل اليمينة بالذات من لخم وجذام وكندة والأزد والحضارمة وخزاعة والمزاعنة بسكنى الاسكندرية بقصد حراستها وحراسة مينتها. وقد قيل في فصل الرباط في الإسكندرية ب\أقوال كثيرة ، وكتبت في ذلك رسائل عديدة ، وقرن اسم الإسكندرية لذلك بالثواب والجهاد ، ولذلك عمرت بمن وفد إليها من المرابطة وازداد عدد الحامية المرابطة من ثلاثة آلاف في أول الأمر إلى ١٧ ألفا أيام خلافة معاية إلى ٢٧ ألفا، ونزلها عدد من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

ولما استخلف عثمان بن عفان في المحرم سنة ٣٤ هـ كتب إليه معاوية يستأذنه في غزوة قبرص ، ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها ، فرد عليه ينهاه عن ذلك كما نهاه عمر بن الخطاب من قبل، ويأمره بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع من ينزله إياها القطائع، ففعل. وفي بداية خلافة عثمان تغلب البيزنطيون على بعض سواحل الشام فقصد لهم معاوية حتى افتتحها ، ثم رممها وشحنها بالمقاتلة ، ومنحهم القطائع ، وفي نفس الوقت سير قنسطانز الثاني امبراطور الدولة البيزنطية حملة بحرية لمهاجمة الإسكندرية بقيادة مانويل نجحت في الاستيلاء على الاسكندرية ، ولكنها أخفقت بعد ذلك عندما تمكن عمرو بن العاص ، الذي انتدب للدفاع عن مصر استجابة لطلب أهلها ، لأن له معرفة بالحرب وهيبة في أنفس العدو ، من إيقاع الهزيمة بالبيزنطيين عند نيقيوس ، واستطاع بذلك أن يسترد الاسكندرية ،ويسحق القوة البيزنطية ، ويحرق عددا كيرا من السفن البيزنطية.

وعندئذ عزم معاوية على السير في تنفيذ خطته في إعداد أسطول بحري حتى يتهيأ له أن يفتح مدينة طرابلس المنيعة من جهة ،ويغزو الجزر المواجهة لساحل الشام كأرواد وقبرص ورودس ، ويتخذها مراكز أمامية لتوجيه الغزوات البحرية إلى بلاد البيزنطيين من جهة ثانية ، فاستحضر الأخشاب من غابات الأرز بلبنان ،وأرسلها في السفن إلى دار الصناعة بالإسكندرية التي لم يكن في مصر سواها حتى ذلك الحين ، استنتاجا لما أورده البلاذري إذ يقول ، :" وكانت الصناعة بمصر فقط ".

ويبدو أن دار الصناعة بعكا كانت معطلة منذ الفتح ، ولهذا السبب نشطت دار الصناعة بالاسكندرية في إنشاء سفن الأسطول الشامي المصري واستعان معاوية بجماعة من الملاحين العرب من بين الأزد والغساسنة لإدارة العمليات البحرية ، وبعد أن تم إعداد عدد من السفن ، أخذ معاوية يفكر جديا في فتح طرابلس التي كان يعتبرها كالشوكة القائمة في جانبه، ويذكر البلاذري إنه وجه لهذا الغرض القائد سفيان بن مجيب الأزدى إلي طرابلس وهى ثلاث مدن مجتمعة، فبنى في مرج على أميال منها حصنا سمي حصن سفيان ، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره ، وحاصرهم.

ونستنتج من ذلك أن سفنا إسلامية حاصرت طرابلس من البحر من جهة المدينة حتى تمنع وصول السفن البيزنطية إليها ، والظاهر أن هذه السفن كانت قليلة أو أنها كانت ملازمة للساحل بدليل أن أهل

طرابلس لما اشتد عليهم الحصار تمكنوا من الاتصال بملك الروم ومطالبته بإرسال عدد من المراكب تحملهم ، فجاءتهم المراكب فركبوها ليلا وفروا ، فلما أصبح سفيان – وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ، ثم يغدو على العدوة – وجد الحصن الذي كانوا فيه خاليا فدخله.

ولا يمكننا أن نفسر وصول السفن البيزنطية إلى ميناء طرابلس في غفلة من المسلمين إلا بقلة عدد السفن العربية القائمة بالحصار ، ومهارة البحريين البيزنطيين في التسلل إلى الميناء وحمل من شاءوا من أهل طرابلس إلى الأراضي البيزنطية ، وأغلب الظن أن فتح طرابلس على يد سفيان بن مجيب الأزدي تم في عام ٢٦هـ ، أي بعد الفتح الثاني للإسكندرية بأمد وجيز ، وشجع فتح طرابلس معاوية على الخروج لغزو قبرص ، فكتب إلى الخليفة الراشد عثمان في عام ٢٧هـ يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص ، فأذن له بغزو الروم بحرا في قبرص على ألا يحمل الناس على الغزو كرها ، وأن يصحب معه امرأته فاخته بنت قرظة ، واشترك مع معاوية في غزو قبرص جموع من الصحابة من بينهم أبو الدرداء ، وأبو ذر الغفاري ، وفضالة بن عبيد الانصاري والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت الذي حمل معه زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ، وأعدت السفن لنقل القوة العربية على ساحل عكا، وهناك أقام معاوية بعض الوقت رمم خلاله تحصينات عكا وصور ، ثم أبحرت الحملة إلى قبرص في ربيع ٢٨هـ ، وكانت هذه الحملة أول غزو للمسلمين في البحر، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها. وما كادت السفن العربية ترسو إلى ساحلها حتى أذعن أهل قبرص بالطاعة للمسلمين، وبعث أركونها يطلب الصلح ، فصالحه معاوية على جزية سنوية يؤديها له أهلها ، واشترط عليهم أن يلتزموا موقفا حياديا في الصراع العربي البيزنطي ،أن يبلغوا المسلمين بسير عدوهم من البيزنطيين ، فلما كانت سنة ٣٢هـ أعان أهل قبرص البيزنطيين على الغزاة فى البحر بسفن قدموها لهم فغزاهم معاوية فى سنة ٣٣هـ، وقيل في ٣٥هـ في خمسمائة سفينة ، وافتتح قبرص في هذه المرة عنوة ، ثم أقرهم على صلحهم وبعث إلى قبرص بجيش عربي عدته ١٢ألفا من أهل الديوان لتعريبها ، ونقل إليها جماعة من بعلبك.

وما كاد معاوية يظفر بالخلافة في سنة٤١ هـ بإجماع المسلمين. حتى عمل على تدعيم الدفاع عن السواحل ، والظاهر أن طرابلس انتفضت عليه في أول خلافته ، وتمكن بعض الروم من أهلها من ذبح عاملها وإحراق قطع من الأسطول العربي الراسية في مينائها. ولكن معاوية تمكن من القضاء على هذه الحركة ،ولعل ذلك كان من الأسباب التى حملته على نقل جماعة من الفرس والأساورة إلى سواحل الأردن والشام في سنة ٤٢هـ. ومن بينها طرابلس. ويشير اليعقوبي إلى أن أهل جبيل وصيدا وبيروت قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية. وسنجده يأمر بنقل قوم من زط البصرة والسيابجة في سنة ٤٩ أو ٥٠هـ إلى السواحل. وذلك على أثر غزوة بحرية قام بها البيزنطيون على سواحل الشام في سنة ٤٩هـ.

ومنذ ذلك الحين اهتم معاوية بإصلاح دار صناعة عكا، وإعدادها للعمل من جديد ، فأمر بجمع الصناع والنجارين فجمعوا ، ورتبهم على السواحل ،ولم تزل السفن تصنع في الشام بعكا حتى آلت الخلافة إلى المروانية فنقلوها إلى صور ما في عهد هشام بن عبد الملك ، وظلت بصور حتى أيام الواقدي المتوفى٢٠٦هـ.

عوامل قيام البحرية الإسلامية

بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه ، هناك ثلاثة عوامل ساعدت على قيام البحرية الإسلامية ، أولها سعي المسلمين إلى الاستيلاء على القسطنطينية ، والثاني توافر المواد الخام ودار الصناعة والصناع والملاحين في مصر والشام ، والثالث ارتباط مصر والشام وتضامنها في العمليات الحربية ضد البيزنطيين .

١- سعى المسلمين إلى الاستيلاء على القسطنطينية :

من الواضح – كما سبق أن اشرنا في المقدمة – أن العرب كانوا يهدفون إلى القضاء على الإمبراطورية البيزنطية على نحو ما حدث بالنسبة للدولة الساسانية ، فلم يكن العرب بعد الفتوح الشامية والمصرية مطمئنين إلى جانب الروم، ولذلك كان عليهم أن يفتتحوا القسطنطينية قلب بيزنطة والعام القديم وقلعة الروم المنيعة ، والرأس المدبر للتنظيم البحري للبيزنطيين في حوض البحر المتوسط الشرقي، ونستدل مما كتبه عثمان بن عفان إلى غزاة المسلمين في المغرب أن القسطنطينية تفتح من جهة الأندلس. وقد وضح هذا الاتجاه بعد أن افتتح موسى بن نصير الأندلس ، وخطر له أن يقتحم الأرض الكبيرة (بلاد افرنجه) ويخترق أوربا ، ويفتح القسطنطينية من الجهة الغربية أي جهة البر، ونستدل على ذلك أيضا من المحاولات المتكررة التي قام بها ولاة الأندلس في الفترة من ١٠٠هـ إلى ١١٤هـ على وجه الخصوص للاستيلاء على الأقاليم الجنوبية من فرنسا: وهي سبتمانية وأقطانية وبروفانس وبرغندية. والظاهر أن فشل معاوية في فتح القسطنطينية بعد حصار دام سبع سنوات (٥٤-٦٠هـ) وما أعقبه من فشل محاولة سليمان بن عبد الملك في عام ٩٨ كان من العوامل التي دفعت المسلمين في الأندلس من عام ١٠٠هـ أي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، إلى البدء بغزو ما وراء البرتات ، ولكن الهزيمة النكراء التي مني بها المسلمون في موقعة بلاط الشهداء (١١٤هـ) وضعت حدا لمحاولاتهم. كان هذا الهدف حافزا للمسلمين منذ البداية على إنشاء أسطول حربي يتوسلون به بادئ ذي بدء للسيطرة على جزر البحر المتوسط الشرقي، واتخاذها نقط ارتكاز أمامية وقواعد حربية ومراسي لأساطيلهم تجاه السواحل البيزنطية حتى يتهيأ لهم الانقضاض من هذه المراكز على القسطنطينية ،وقد رأينا كيف نجح معاوية في غزو قبرص في سنة ٢٨هـ ، ثم غزاها للمرة الثانية في سنة ٣٣هـ ، فلما فطن قنسطانز الثاني إلى تحركات السفن الإسلامية في عام ٣٤هـ وإلى نوايا العرب التوسعية في آسيا الصغرى عبر مناطق الثغور الشامية الممتدة إلى شمال أنطاكية كدرب بغراس والمصيصة ، اشتبك معهم بكل ما لديه من قوى بحرية في موقعة المعروفة بذات الصواري، وفيها انتصر المسلمون انتصارا حاسما ثبت لهم

السيادة البحرية في البحر المتوسط ،وأدى إلى تفويض أسطورة التفوق البحري للبيزنطيين ، ورأي قنسطانز أمام تحول ميزان القوى البحرية إلى صالح العرب ، اتخاذ صقلية قاعدة له سنة ٤٢هـ صيانة لأملاكه في أفريقية وصقلية وإيطاليا من غزو إسلامي محقق، ولكنه لم يلبث أن اغتيل على بد أحد قواده في سرقوصة سنة ٤٨هـ (٦٦٨م) ث شغل معاوية بالمطالبة بدم عثمان منذ سنة ٣٥هـ ومعارضة الخليفة الرابع علي ابن أبي طالب من أجل الظفر بالخلافة عن مواجهة البيزنطيين فاغتنم هؤلاء الفرصة وشنوا على سواحل الشام هجوما عاتيا في سنة ٤٩هـ (٦٦٩م) سبب خسائر فادحة للمسلمين ،وقد حمل ذلك معاوية على تنشيط دار صناعة عكا، ومنذ ذلك الحين أخذ المسلمون يشكلون خطرا متزايدا على البيزنطيين ،فقد استعمل معاوية على البحر القائد العربي عبد الله بن قيس الذي غزا خمسين غزوة ما بين شاتية وصائفة ،واستهل معاوية جهاده ضد القسطنطينية بأن أغزى سفيان بن عوف العامري على الطوانة بأرض الروم ،فأصيب جيشه بالحمى والجدري، ثم أغزى بعده فضاله بن عبيد الأنصاري في سنة ٤٩هـ برا إلى القسطنطينية ،وسير ابنه يزيد في قوة إسلامية لتعزيز هذه الحملة فسميت غزوة يزيد بن معاوية بالرادفة.

وبدأ العرب ينافسون البيزنطيين في البحر ،ونجح جنادة بن أي أمية الأزدي في فتح جزيرة رودس عنوة في سنة ٥٢هـ ، وانزلها قوما من المسلمين. وفي سنة ٥٤هـ افتتح جنادة بن أبي أمية الأزدي جزيرة أرواد (كزيكوس) في مياه القسطنطينية ، وأسكنها معاوية المسلمين ،واتخذها قاعدة لتوجيه حملاته البحرية على القسطنطينية أثناء حرب الأعوام السبعة ، فكانت الأساطيل تنقل الجنود من هذه الجزيرة إلى البر لمحاصرة القسطنطينية. وفي سنة ٥٥هـ غزا جناده إقريطش. وتهيأ له بعد ذلك مهاجمة البيزنطيين في القسطنطينية عاصمتهم.

٢- توافر المواد الخم والأيدي العاملة الماهرة:

عندما عزم معاوية بن ابي سفيان وهو بعد وال على الشام على إنشاء أسطول عربي إسلامي، كان يعلم تماما أن في إمكانه تحقيق هذا الهدف ، فالأخشاب التي يمكن أن تصنع منها الواح السفن والصواري والمجاديف تتوافر في مناطق متعددة من الأراضي العربية في مصر والشام ، فأشجار الصنوبر القوي والأرز والبلوط والعرعر تزخر بها جبال لبنان وسوريه كما أن أخشاب السنط المصري الصالحة لعمل الصواري وضلوع جوانب السفن وخشب الجميز ولأثل واللبخ والدوم التي تصلح لصناعة المجاديف والقرايا اشتهرت بها مصر منذ أقدم العصور. وكانت أشجار السنط تكثر في الهناسوية وسفط ريشين والأشمونين والاسيوطية والاخيميمة والقوصية. كذلك كان في إمكان معاوية استغلال معدن الحديد المتوفر في مصر والشام واليمن لعمل المسامير والمراسي الخطاطيف والفؤوس ، كما يتوفر بمصر القطران الوارد من ليبيا،وهو مادة لازمة لقلفطة السفن، ونبات يقال له الدقس كانت تصنع منه حبال السفن ، وبالإضافة إلى هذه المواد الضرورية لصناعة السفن كانت تتوفر في الشام ومصر الأيدي العاملة الخبيرة ، ونستدل من الوثائق البردية التي

ترجع إلى عهد قرة بن شريك والي مصر عن وظائف كثير من صناع السفن في مصر كالنجارين والملفطين وقصارى الأقمشة ممن كانوا يشتغلون في دار الصناعة بالإسكندرية ،وقد لعب القبط دورا رئيسيا في صناعة الأسطول الإسلامي السوري والمصري والمغربي كما سبق أن أشرت إليه في مقدمة الكتاب ، وشاركوا في المعارك البحرية التي خاضها العرب ضد البيزنطيين ، وقد ازدادت أهمية البحرية الإسلامية منذ أن أسس مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر من قبل معاوية دار صناعة جزيرة الروضة في سنة ٥٤هـ على أثر قيام البيزنطيين بمهاجمة بلدة البرلس في سنة ٥٣هـ ، وفي هذه الغزوة قتل وردان مولى عمرو بن العاص ، وابن ثعلبة البلوي وأبو رقية عمرو بن قيس اللخمي في جمع كثير من الناس، أما أهل الشام وبالذات سكان السواحل اللبنانية من صور وصيدا جنوبا إلى جبيل وطرابلس شمالا فقد برعوا في صناعة السفن وتمرسوا في ركوب البحر، ونبغوا في قيادة الأساطيل منذ أقدم العصور بحكم تطلعهم إلى البحر واحتكاكهم التجاري بعالم البحر المتوسط القديم ، وتستدل من ظهور أشكال السفن الصيدونية منقوشة على عملات صيدا في العصر الفارسي مثلا على أن صيدا لعبت دورا هاما في التاريخ البحري القديم بحيث اتخذت السفن رمز ينقش على عملاتها ، فقد اشتركت صيدا في الحرب الفارسية اليونانية في عهد كل من احشويرش وارتحششتا الأول ،ولا ينبغي أن ننسى أن معاوية اعتمد أيضا على عناصر عربية يمنية تنتمي إلى قضاعة كانت قد استقرت في مشارف الشام قبل نزوح الأزد الغساسنة وأعني بهم بني سليح بن حلوان القضاعيين ، ثم غلبهم الأزد الغساسنة وحلوا محلهم فيما يقرب من القرن الثاني الميلادي ، وقد سبق أن أشرنا في مقدمة الكتاب إلى احتفاظ هؤلاء اليمنية بتقاليدهم البحرية التي ورثوها عن أجدادهم السبئيين والحميريين . ويكفي أن نذكر أن أسماء ثلاثة شخصيات ازدية غسانية لعبت دورا هاما في قيام البحرية الإسلامية في العصر الأموي : هم جنادة بن أبي أمية الأزدي فاتح جزيرتي رودس وإقريطش ، وسفيان بن مجيب الأزدي فاتح طرابلس الشام التى كانت قد استعصت على المسلمين زمنا طويلا، حسان بن النعمان الغسانى مؤسس البحرية فى تونس، وقد اشرنا فيما سبق إلى نزول كثير من القبائل اليمنية في سواحل مصر لاسيما الإسكندرية وللرباط والحراسة.

٣- ارتباط مصر والشام وتضامنهما في العمليات الحربية ضد البيزنطيين :

حتم الموقع الجغرافي لمصر وبلاد الشام والمصالح السياسية والاقتصادية المشتركة قيام روابط وثيقة بين القطرين الشقيقين منذ أقدم العصور التاريخية، وتدل عليها بعض المظاهر الحضارية في الاقتصاد وفي الفكر والدين والفن ، وقد، تأكدت هذه الصلات التاريخية وتوثقت الروابط الاقتصادية والسياسية عبر التاريخ القديم والتاريخ الوسيط ، بحيث ارتبط البلدان بمصير واحد في معظم الأحوال ،فتعرضا للسيطرة الأجنبية الأشورية والفارسية واليونانية والرومانية في العصر القديم وخضعا للدولة البيزنطية ، ثم دخلا في فلك الدولة العربية الإسلامية ، وارتبطا

بوحدة وثيقة زمن الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك وأصيبا بكارثة الغزو الصليبي والغزو المغولي والغزو العثماني.

وأدرك العرب حقيقة التلاحم والتواصل بين البلدين الشقيقين منذ الفتح العربي الإسلامي للشام فاستلزم فتح الشام فتح مصر، وفي عصر الخلافة الراشدة خاض الأسطول المصري مع الأسطول الشامي المعارك الحربية ضد البيزنطيين وفيها اشترك مقاتلة من القبط مع إخوانهم المسلمين وفطن معاوية منذ بداية الصراع بينه وبين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب إلى أهمية ضم مصر إلى سلطانه فانتدب عمرو بن لعاص للاستيلاء عليها وضمها إلى ملكه بالشام قبل اجتماع الحكمين في دومة الجندل حرصا منه على ضمان التفوق البحري ومنذ ذلك الحين وأصبح تاريخ مصر هو تاريخ الشام ومصير مصر مصيره وتساند البلدان في المحن وتكاتفا في الازمات ، فكانت مصر خلال مراحل الكفاح التاريخي للعرب في العصر الوسيط المعقل الأمنع للإسلام ومركز الثقل في المنطقة كلها ، وعليها وقع عبء النضال في معظم فترات التاريخ الوسيط ضد قوى العدوان لاسيما الصليبي والمغولي الذي انحصر هدفه على سحق قوى مصر وقهرها ، وكان ذلك من أسباب انتقال مسرح الصراع الإسلامي الصليبي إلى مصر وكان للشام أيضا الفضل الأكبر في إنقاذ مصر والدفاع عنها عندما انتهز الصليبيون فرصة ضعفها وحاولوا الاستيلاء عليها زمن الخليفة الفاطمي العاضد وشهدت مصر صراعا عنيفا بين نور الدين محمود بن زنكي الداعي إلى تأليف جبهة إسلامية متحدة وبين الصليبيين في سبيل ضم مصر.

وكان لتضامن مصر والشام في مرحلة التحدي البيزنطي لقوى الإسلام بعد حركة الفتوحات العربية الإسلامية ووقوف البلدين معا إبان عمليات الغزو البحري التي كان يوجهها البيزنطيون إلى سواحل الشم ومصر أكبر الأثر في تحقيق أمل معاوية في إنشاء بحرية إسلامية ، ولم تضن مصر عليه بخبرات ملاحيها وصناعها الذين تخصصوا في سد ثغرات السفن واستخدام المسامير الحديدية في بنائها ، وكان من أثر هذا التعاون الوثيق قيام بحرية عربية إسلامية شامية مصرية مشتركة حولت خطط العرب من استراتيجية دفاعية إلى هجومية في مرحلة مبكرة للغاية من تاريخهم الإسلامي ، وغمرت صفحات هذا التاريخ بالأمجاد والمفاخر والبطولات.

الوقائع البحرية الهامة بين العرب والبيزنطيين حتى نهاية العصر الأموي

خاض العرب ثلاثة وقائع بحرية هامة ضد البيزنطيين : الأول حسمت السيادة البحرية في حوض البحر المتوسط وقلبت التفوق البيزنطي لصالح المسلمين ، وأعنى بها موقعة ذات الصواري ، أما الموقعتان الأخريان المتعلقتان بحصار المسلمين للقسطنطينية ، مرة في خلافة معاوية ومرة أخرى في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فقد صاحبهما الفشل وتسببتا في تدمير العدد الأعظم من قطع الأسطول الإسلامي.

موقعة ذات الصواري:

تشير المصادر العربية إلى أن معاوية خرج مع أهل الشام ومصر في أسطول من مائتي مركب، تولى قيادته البحرية عبد الله بن سعد ، مستهدفا مهاجمة الدولة البيزنطية في أراضيها ، وبلغت هذه الأنباء قسطانز ، فاتخذ أهبته لمعركة حامية ، وأعد أسطولا هائلا من ٥٠٠سفينة وقيل ٦٠٠ وقيل ٧٠٠، لم يجتمع للروم مثله قط منذ ظهور الإسلام للانتقام لما أصابهم على أيدي المسلمين في إفريقية ، وإذا بحثنا هذا الدافع وجدنا أن العرب في الفترة ما بين سنة ٣٨هـ التي تسجل حملة عبد الله بن سعد على إفريقية وغزو معاوية لقبرص حتى سنة ٣٤هـ التي وقعت فيها معركة ذات الصواري ،لم يقوموا بنشاط فعال في إفريقية ، كما أن التفسير الذي أورده الدكتور إبراهيم أحمد العدوي للاشتباك البحري في ذات الصواري ويتلخص في أن أخبارا ترامت إلى قنسطانز باستعدادات بحرية هائلة وأخرى برية يقوم بها معاوية لضرب عاصمة البيزنطيين الضربة الأخيرة، يبدو لنا غير مقنع ، لأنه لا يستند على أسانيد وثائقية ولا حتى على استدلالات منطقية ، فالبحرية الإسلامية كانت ما تزال بعد فيدور التكوين والإنشاء ولا يعقل أن يقوم العرب في هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم البحري بغزو بيزنطة المدينة المنيعة التي يرجع إلى حصانتها وروعة موقعها الفضل في استمرار الدولة البيزنطية حتى نهاية العصر الوسيط ،ولما كانت الموقعة قد دارت بالقرب من ساحل كليكيا ،فالأرجح أن هناك سببا آخر دعا العرب إلى الاقتراب من هذا الساحل بآسيا الصغرى ، واعتقد أنهم كانوا يسعون إلى الحصول على مصدر جديد للخشاب الجديدة اللازمة لصناعة السفن ، مثل خشب البلوط الصلد اللازم لصناعة الصواري والقرايا والأقواس ، وخشب التنوب الكليليكي الذي ينمو في آسيا الصغرى ،والعرعر الشبيه بشجر الأرز ، ونستدل عل هذا الرأي بأن كلمة ذات الصواري لم تطلق نسبة إلى كثرة صواري السفن كما يزعم فريق من المؤرخين العرب، ولكن نسبة إلى موضع بهذا الاسم استنتاجا من قول الطبري: " فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري ، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة ، وقوله أيضا: " وأقام عبد الله بذات الصواري أياما بعد هزيمة القوم" ، ولا يمكن أن يسمى موضع بهذا الاسم إلا لكونه مصدرا لأخشاب تصنع منها الصواري ، والظاهر أن قنسطانز كان قد ترامت إليه أنباء هذه الحملة بدليل أنه كان متأهبا لاستقبال سفن الأسطول الإسلامي بسفن لم ير العرب مثل عددها قط ، ولو أن العرب كانوا ينوون حقا غزو القسطنطينية لما غامروا بالخروج في سفن قليلة نسبيا ولما هالهم عدد السفن البيزنطية، ومعرفة قنسطانز مسبقا بقدوم السفن العربية إلى الساحل البيزنطي يدل على أحد أمرين : إما أن مجيئ هذه السفن العربية إلى الساحل المذكور لم يكن للمرة الأولى وأنه سبق لهم أن قدموا إليه فوصلت أنباء ترددهم على الساحل إلى قنسطانز عن طريق سكان المنطقة فترصد لمجيئهم وهذا التفسير يؤكد وجهة نظري في تبرير وصول السفن العربية إلى تلك النواحي وقلة عددها قياسا إلى سفن الروم ثم اصطدامها بالأسطول البيزنطي كله ، أن يكون قنسطانز قد علم

بتحركات المسلمين وأطلع على نواياه عن طريق عيونه وجواسيسه الذين بثهم على سواحل الشام بدليل ما كان يحدث في هذه السواحل من حركات انتفاض كما حدث في طرابلس والإسكندرية ، الأمر الذي دعا معاوية في نهاية الأمر إلى الإقدام على تبديل سكان الساحل بعناصر سكانية جديدة وافدة ، من الفرس والزط.

وأيا ما كان السبب في خروج المسلمين إلى ساحل آسيا الصغرى ، فقد هال المسلمين منظر البحر وقد امتلأ سفنا بيزنطية ، ويورد الطبري رواية على لسان مالك بن أوس بن الحدثان أحد رجال المسلمين قال : " كنت معهم فالتقينا في البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط" واشتبكت سفن المسلمين مع سفن الروم في معركة عنيفة ، فربط المسلمون سفنهم بعضها إلى بعض وحولوا المعركة البحرية إلى معركة أقرب ما تكون إلى المعارك البرية ، واشتد القتال وقتل من الجانبين أعداد هائلة ، واختلطت دماء القتلى بمياه البحر فصبغته بلونها الأحمر القاني، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما ،وبهذا الانتصار العربي ثبت للعرب السيطرة على حوض البحر المتوسط والتفوق على البيزنطيين، ويعلق الأستاذ فتحي عثمان على انتصار العرب في ذات الصواري بأنها: تعتبر حدا فاصلا في تاريخ البحر المتوسط ، ذلك أن قنسطانز كان يرمي إلى تحطيم قوة المسلمين البحرية في مهدها ، ولو أنه وفق في ذلك لظلت سيادة البحر الأبيض أو حوضه الشرقي على الأقل بيد البيزنطيين دون المسلمين.

حصار المسلمين الأول للقسطنطينية (٥٤- ٦٠هـ/ ٦٧٣-٦٧٩م)

مهد معاوية بن أبي سفيان للحروب التي خاضتها قواته البحرية والبرية حول القسطنطينية نفسها فيما بين عامي ٥٤-٦٠هـ بحملات استطلاعية برية وبحرية متتابعة بقصد دراسة الطرق المؤدية إلى الحاضرة البيزنطية ، نذكر من بينها شاتية بسر بن أبي أرطأة بأرض الروم في سنة ٤٣هـ التي بلغ فيها القسطنطينية وفقا لما رواه الواقدي وإن كان فئة من المؤرخين طعنوا في صحة هذا التاريخ ، وحركة بسر البحرية في سنة ٤٤هـ ، وشاتيه مالك بن عبيد الله بأرض الروم في سنة ٤٦هـ ، وشاتية مالك بن هبيرة بأرض الروم ٤٧هـ ، وصائفة عبد الله بن قيس الفزاري بحرا ، وغزوة مالك بن هبيرة السكوني بحرا ، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر في البحر سنة ٤٨هـ ، وفي سنة ٤٩هـ (٦٦٨م) أرسل معاوية حملة برية لغزو القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف ثم أردف به ابنه يزيد بعدما أصاب المسلمين في غزوتهم جوع ومرض شديد ، وصحب يزيد بن معاوية معه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو ايوب الأنصاري ، فأوغلت الحملة في بلاد الروم حتى بلغ المسلمون القسطنطينية واشتبكوا مع البيزنطيين في قتال عنيف وتفاني المسلمون في القتال واستشهد من أبناء الصحابة عبد العزيز بن زرارة الكلابي ، فبلغ خبر استشهاده معاوية فقال فيه " والله هلك فتى العرب " وفي هذه الوقعة توفي أبو أيوب الأنصاري وهو يحاصر القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها ، وعاد يزيد مع جيشه على الشام في نفس العام.

وظل المسلمون يهاجمون الأراضي البيزنطية صيفا وشتاء في البر والبحر حتى استولى الأسطول على أزمير واحتل ليكيا كما استولى على جزيرة رودس وكوس وخيوس ، وفي سنة ٥٤هـ بدأ الحصار الفعلي للقسطنطينية ،واستدعى الأمر تعزيز القوة البحرية فانضم إلى الأسطول الإسلامي المرابط في مياه القسطنطينية أسطول إسلامي بقيادة جنادة بن أبي أمية ، استولى على جزيرة أرواد القريبة من القسطنطينية ، فاتخذها المسلمون قاعدة بحرية أمامية لإمداد الجيش المحاصر للعاصمة البيزنطية بالميرة والسلاح والرجال ، ولقطع الطريق على سفن الروم ، وأحكم المسلمون الحصار البري والبحري طوال العام ، اشتبكت أثناءه سفن بيزنطة مع السفن الإسلامية كما استمرت المعارك البرية تدور بين الجيشين العربي والبيزنطي ، ثم اضطر المسلمون إلى فك الحصار عن القسطنطينية عندما حل الشتاء وأقام المسلمون في أرواد انتظارا لحلول الربيع لكي يستأنفوا عملياتهم الحربية ، فما حل الربيع حتى تابع المسلمون حصار القسطنطينية ولكنها استعصت عليهم وتكرر ذلك عدة سنوات حتى سنة ٦٠هـ ، وأبدى أثناءها المسلمون كثيرا من ضروب البسالة والإقدام على الرغم من توسل البيزنطيين في الدفاع بوسائل كيميائية لا طاقة للعرب بمكافحتها ودفع خطرها ، فقد استخدم الدفاع البيزنطي النار الحربية التي عرفت فيما بعد بالنار اليونانية ، كوسيلة دفاعية تسببت في حرق عدد كبير من قطع الأسطول الإسلامي وفي بث الذعر والهلع في نفوس المحاصرين للمدينة وأدرك معاوية في آخر أيامه استحالة الاستمرار في محاصرة القسطنطينية بسبب استخدام المدافعين عنها هذا السلاح الفاتك ، خاصة وقد استنزف الحصار قواهم وتحطم العديد من سفنهم ، فعقد مع قسطنطين الرابع امبراطور الدولة البيزنطية معاهدة صلح في سنة ٦٧٩ م مدتها ثلاثون عاما .

حصار المسلمين الثاني للقسطنطينية (٩٨-٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م)

لم يثبط الفشل الذي صاحب معاوية في فتح القسطنطينية همم خلفاء بني أمية من بعده في معاودة الكرة ، ولم يقض على آمالهم في محاولة فتحها من جديد ، والواقع أن الفكرة ظلت تراود الخلفاء المروانيين بعد مروان بن الحكم ولكن وضعها موضع التنفيذ كان يحتاج لدراسة وافية وإعدادات مسبقة ، واستعدادات كاملة . وبدأ التأهب للحصار الثاني منذ بداية عهد الوليد بن عبد الملك الذي تابع سياسة تقوية الأسطول الإسلامي ، وعمل على تنسيق التعاون بين القوتين البرية والبحرية وخلق مناخ طيب للعمليات الحربية ضد الامبراطورية البيزنطية ، واتخذ الوليد من منطقة الثغور بآسيا الصغرى مجالا لتدريبات قواته ، وفي سنة ٩٤هـ ، بدأ يعد حملة بحرية برية بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، وما إن ترامت أخبار هذه الاستعدادات إلى السلطات البيزنطية حتى بدأت تهتم بتدعيم وسائل الدفاع عن أسوار القسطنطينية ، كما عنيت بتقوية الدفاع البحري تمهيدا لحصار قد يطول أمده كما حدث في الحصار الأول ، ولكن فاة الخليفة الوليد أدت إلى إرجاء انفاذ الحملة إلى مقصدها ، وفلما اعتلى سليمان عرش الخلافة أخذ يجهز الجيوش

للسير إلى القسطنطينية مدفوعا بنبوءة تواترت على ألسن الفقهاء ، ومهد لذلك بغزوة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة الفزاري على بلاد الروم في سنة ٩٧هـ ، وفي العام التالي حشد سليمان قوات كثيفة برية وبحرية زودها بمقادير هائلة من المؤن والأقوات والسلاح لحرب طويلة الأمد بقيادة أخيه مسلمة وأمره بأن يتوجه إلى القسطنطينية ولان يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره.

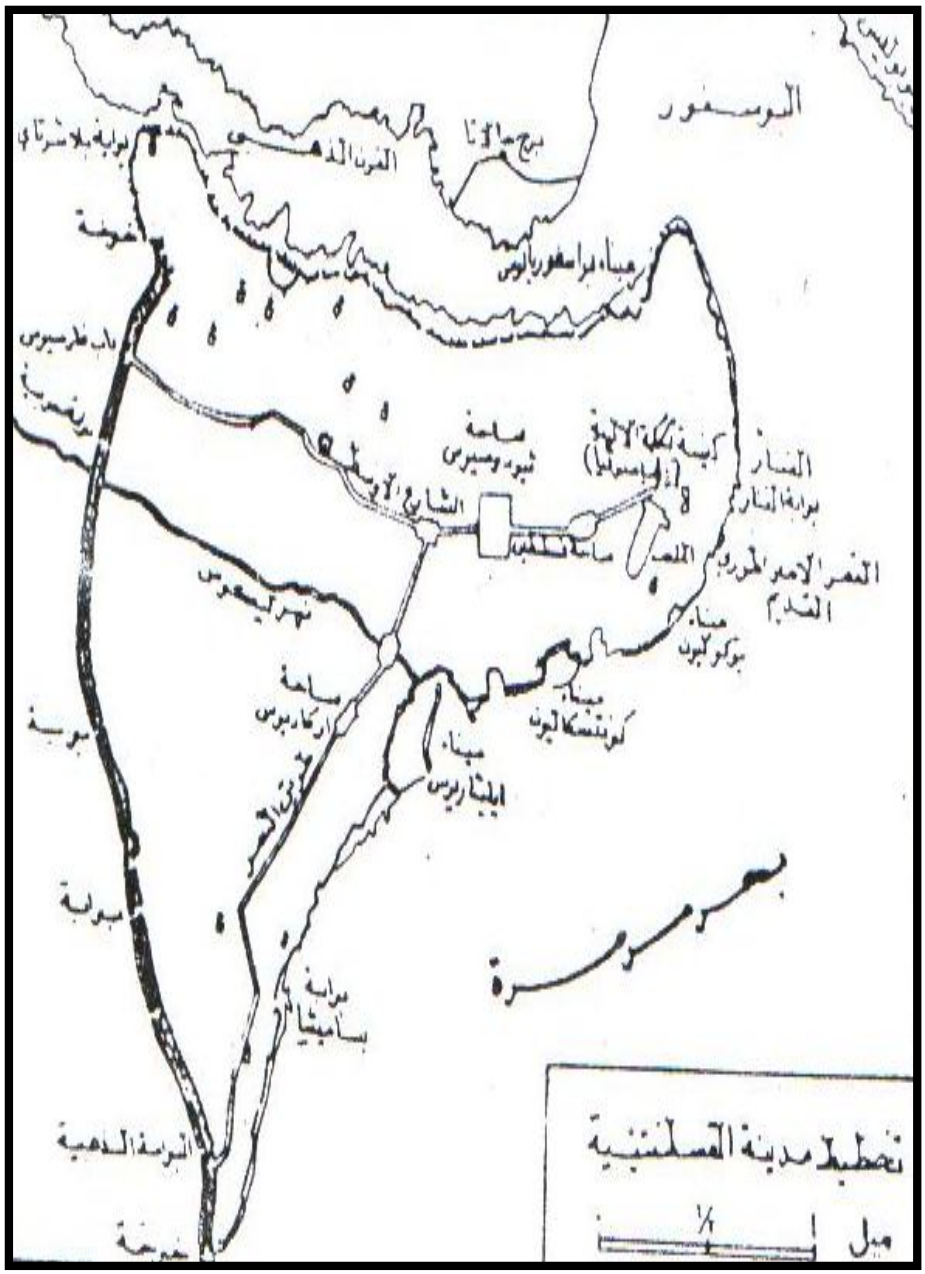

البوسفور
القرن الذهبي
ساحة ثيودوسيوس
الشارع الأوسط
نهر ليكوس
المنار
بوابة المنار
ساحة أركاديوس
ميناء بوكوليون
بحر مرمرة
البوابة الذهبية
تخطيط مدينة القسطنطينية
ميل
½

وأقام سليمان في دابق ، وأعطى الله عهدا أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية، ويذكر الطبري أن مسلمة لما توغل في أسيا الصغرى هابه الروم ، فاتصل به قائد أرمني اسمه ليو كان يتطلع إلى الظفر بالعرش الامبراطوري ويدبر أمره لانتزاعه من ثيودوسيوس الثالث (الذي ولاه الجند في سنة ٧١٦م بعد أن عزلوا انستاسيوس الثاني) فاتفق ليو مع مسلمة على خطة تتيح للمسلمين فتح القسطنطينية وما كاد يصل إلى القسطنطينية حتى غرر بهم وخدعهم بعد أن تحايل على تجريدهم من كل أقواتهم ، وتشير المصادر البيزنطية إلى أن ليون الأرمني الذي اعتلى العرش باسم ليو الثالث الايسوري دخل القسطنطينية حيث توج امبراطورا في مارس سنة ٧١٧م(٩٨هـ) أما مسلمة فقد تابع سيرة حتى وصل إلى مشارف القسطنطينية في أواخر ٩٨هـ بقيادة جيش عدته ثمانون ألف مقاتل سوى ما اجتمع للعرب تحت أسوار العاصمة في البر والبحر ، وحاصر مسلمة القسطنطينية برا وبحرا ، ونصب عليها المجانيق ولكن أسوار المدينة المنيعة وقوة الدفاع البيزنطي وفعالية النار اليونانية ردت المسلمين عن اقتحام العاصمة البيزنطية موجه بعد موجه من الهجوم ومع ذلك فقد واصل مسلمة بعناد محاصرة المدينة وشدد الضغط عليها وحفر حول معسكره حفيرا عميقا وانتسف المزارع والقريبة ومنع الأقوات من التسرب إلى داخلها ،أما الأسطول فقد رابطت قطعة حول المدينة وتشير الروايات البيزنطية إلى أن قطع الأسطول الإسلامي بلغت ١٨٠٠ سفينة كبيرة كان يتولى قيادتها قائد يقال له سليمان ، لعله سليمان بن معاذ لانطاكي أحد قادة الحملة ، وتمكن هذا الأسطول الضخم من إغلاق الممرات المؤدية إلى البحر الأسود ، ولكن عاصفة عاتية حطمت عددا من السفن وسببت خللا في مسيرته فانتهز البيزنطيون هذه الفرصة وسلطوا نيرانهم اليونانية على السفن الإسلامية فأحرقوا عددا كبيرا منها ، واستمر المسلمون بالرغم من ذلك يحكمون الحصار على المدينة طوال السنة إلى أن توفي سليمان بن عبد الملك في ١٠ من صفر سنة ٩٩هـ ، وقد حل الشتاء ببرده وثلجه ، فهلك عدد كبير من عسكر المسلمين من البرد ،ونفقت معظم الخيول والدواب ، وعدمت الأقوات كما توفى مسلمة قائد الأسطول فسببت وفاته اضطرابا في صفوف البحريين ، وحل الضيق والقحط بمعسكر المسلمين حتى أكل الجند الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شيء غير التراب ، وظل الأمر إلى أن كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه إليه خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم.

ويعتبر فشل المسلمين في الاستيلاء على القسطنطينية للمرة الثانية حدثا من أهم أحداث تاريخ العصور الوسطى وكتب للإمبراطورية البيزنطية إبقاء بخروجها ظافرة من محنة الحصار ، وظلت تحتفظ بهيبتها أمام دول الغرب الأوربي فترة طويلة.

أثر استيلاء المسلمين على إقريطش في استعادتهم للسيادة البحرية في البحر المتوسط

في بداية العصر العباسي توقف النشاط البحري للمسلمين في مصر والشام فترة دامت ما يقرب من خمسين سنة ، بسبب انصراف الدولة العباسية – التي انتهجت منذ قيامها سياسة مشرقية وتطلعت بوجهها نحو خراسان – عن شؤون البحر، ونفض يدها عن محاربة البيزنطيين في البحر المتوسط ، بسبب تفرغها لمشاكلها الإقليمية والخارجية ، وقد ساعد على تجميد النشاط البحري مع المسلمين بسبب الفتن الداخلية والمشاكل الخارجية التي عصفت بها النزاع اللاأيقوني الذي تجدد منذ أن اعتلى ليو الخامس الأرمني العرش البيزنطي وثورة توماس الصقلي التي احتدم نارها في أعقاب مصرع ليو الخامس في سنة ٢٠٥هـ (ديسمبر ٨٢٠م) ،والصراع مع البلغار منذ عهد قسطنطين السادس وأمه إيرين ،كما ساعد على ذلك أيضا انفصال المغرب الإسلامي والأندلس عن المشرق سياسيا ، وتطلعه إلى القيام بدور بحري هام واعتماده في ذلك على مقوماته الذاتية مع استغلاله للظروف السيئة التي كانت تجتازها الإمبراطورية البيزنطية.

ومع ذلك فقد ابدي خلفاء بني العباس ابتداء من الرشيد اهتماما خاصا بالشئون البحرية فالبلاذري يشير إلى ذلك بقوله :" وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو ، ونفاذ بصيرته في الجهاد أمرا عظيما :أقام من الصناعة ما لم يقم من قبله ، وقسم الأموال في الثغور والسواحل وأشجى الروم وقبعهم وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب في جميع السواحل أن تشحن بالمقاتلة : والرشيد مما يشير الطبري ولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام ومصر في سنة ١٩٠هـ ـ فغزا جزيرة قبرص عندما نكث أهلها العهد مع المسلمين ، وهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا ، فأقدمهم الرافقة ، فتولى بيعهم أبو البخترى ، فبلغ أسقف قبرص ألفي دينار، كما غزا جزيرة اقريطش، وعلى هذا النحو بدأ العباسيون يسعون منذ خلافة الرشيد إلى استعادة السيادة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط الشرقي، ولإيجاد نوع من التوازن مع المغاربة والأندلسيين التى آلت إليهم السيطرة على نصفه الغربي ولكن الأوضاع في البحر المتوسط الشرقي أخذت تتغير بالتدريج لصالح المسلمين ليس بفضل الجهود التي بذلها الرشيد والتوكل على الله فحسب بل بفضل جهاد غزاة البحر الأندلسيين ، ونشاط البحرية الأغلبية، وذلك عندما تملكت طائفة من الغزاة البحريين الأندلسيين من النزول في أقريطش والاستيلاء عليها في سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م في الوقت الذي كان القاضي أسد بن الفرات قائد الأمير زيادة الله بن الأغلب ينزل مع قواته في مأزر من موانئ صقلية ويشرع في فتح هذه الجزيرة الكبرى .

ومنذ أن تمركز الأندلسيون في إقريطش استأنفت البحرية الإسلامية نشاطها في مصر والشام ن فلم تلبث إقريطش أن دخلت في طاعة الخليفة العباسي لتستظل بحمايته بسبب مأمنهم في بلاده ودنو جزيرتهم من سواحل مصر، فأصبحت إقريطش في التقسيم الإداري للدولة العباسية إقليما تابعا لمصر، حتى سقوطها في أيدي البيزنطيين في

سنة ٣٥٠هـ، وكانت مراكب أهل إقريطش تمير أهل مصر بخيرات جزيرتهم وأطعمتهم ،وكانت هداياهم تصل إلى عمال مصر، ويشير النويري السكندي إلى أنه كان يحمل من إقريطش ،عسل النحل والجبن الكثير لمصر والشام ويسمي بلغة الفرنج كنديا، نسبة إلى مدينة كندية أو الخندق قاعدة إقريطش ، وكانت مصر تتولى تزويدهم بالسلاح المعدات ، كما كانت دار صناعة دمياط تزودهم بما يلزمهم من السفن التي تنتجها من أخشاب إقريطش، وبفضل هذا الاسطول تمكن أهل هذه الجزيرة من مهاجمة جزر بحر الأرخبيل ، وفرضوا سيادتهم في حوض البحر المتوسط الأوسط، وبالتدريج أصبحت إقريطش منذ النصف الثاني من القرن الثالث أهم قاعدة بحرية للمسلمين في النصف الشرقي من حوض البحر المتوسط ، وبفضل جهاد أهل إقريطش في البحر وتضامنهم مع أهل مصر والشام وازدياد نشاطهم في غزو سواحل الروم وجزر بحر إيجه استعادت البحرية الإسلامية في مصر والشام نشاطها وحيوتها .

وإقريطش تتمتع بموقع استراتيجي ممتاز في وسط حوض البحر المتوسط ، فهي تؤلف جسرا يربط بين شبه جزيرة البلوبونيز وشبه جزيرة الأناضول ، ولهذا فهي تتحكم بحكم هذا الموقع في الممرات المائية إلى بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى ومقدونيا ، ثم هي تتجاوز عددا لا يحصى من جزر بحر إيجه مثل رودس وسكربنتو وميلوس وساموس وخيوس ولمنوس وميتيلين التي تشكل جميعا خطا دفاعيا أماميا لسواحل الامبراطورية البيزنطية المطلة على بحر إيجه وبحر مرمرة ولهذا السبب يتيسر لفاتحي هذه الجزيرة تهديد الامبراطورية البيزنطية تهديدا مباشرا ، وجزيرة إقريطش بالإضافة إلى ذلك كله غنية بالأشجار التي يمكن أن يستغلها المسلمون في إنشاء الأساطيل وغنية بأراضيها الخصبة الممتدة على السهول الساحلية في شمال الجزيرة ،ولقد فطن معاوية بن أبي سفيان إلى أهمية هذه الجزيرة فغزاها في أيامه جنادة بن أبي أمية ، ولكنها لم تلبث أن خرجت من دائرة النفوذ الإسلامي بعد سنوات قليلة من حركة جنادة على أثر الفشل الذي انتهى إليه حصار المسلمين الأول للقسطنطينية في سنة ٦٠هـ ، ثم غزاها حميد بن معيوف الهمذاني الذي ولاه الرشيد سواحل بحر الشام (في سنة ١٩٠) في خلافة الرشيد ففتح جانبا منها، ولكن النفوذ الإسلامي لم يلبث لن انحسر عن الجزيرة مباشرة على أثر رحيل الغزاة وظلت جزيرة إقريطش تابعة للبيزنطيين الذين حرصوا على الاحتفاظ بها في قبضتهم بسبب ما تتمتع به من استراتيجية تكلف لمن تكون في حوزته السيطرة الفعلية على مداخل بحر إيجه ، والتحكم في الجزر الصغيرة الممتدة ما بين سواحل آسيا الصغرى وبلاد الإغريق ، إلى أن تمكنت قوة من المغامرين الأندلسيين – وهم طائفة من الغزاة البحريين كانت قد ألجأتهم الظروف بعد إحدى غزواتهم إلى إرساء سفنهم على ساحل منطقة الرمل بالإسكندرية في سنة ١٩٨هـ لابتياع ما يصلحهم من المعاش وشحن سفنهم بالمؤن والأقوات التي تكفيهم لموسم غزوهم التالي، على نحو ما كانوا يفعلون من قبل في كثير من غزواتهم البحرية من استغلال الأوضاع السياسية السيئة في البلاد

المصرية ، واضطراب العرب المقيمين بالإسكندرية ونواحيها من لخم وبني مدلج ، فدخلوا طرفا في النزاع ، وأيدوا عمر ابن هلال الخديجي على خصومة وأعادوا إلى ولاية الإسكندرية ، وتهيأ لهم بذلك المجال للنزول بأرض الإسكندرية والإقامة في برها على الأقل أثناء فصل الشتاء الذي يتوقف فيه النشاط البحري بدلا من البقاء على ظهور السفن ، ثم انقلبوا على ابن هلال واشتبكوا مع للخميين في قتال عنيف ، فهزموهم ودخلوا الإسكندرية عنوة في ذي الحجة سنة ٢٠٠هـ ، واستبدوا بشؤونها .

وعزم المأمون العباسي على وضع حد للاضطرابات الداخلية في مصر ، فسير جيشا من الخراسانيين في سنة ٢١٠هـ تولى قيادته عبد الله بن طاهر في طلب بعض السفن العباسية المرابطة في الثغر(طرسوس) إلى تنيس وتمكن بفضل قوته السيطرة على الموقف ، وحاصر الأندلسيين بالإسكندرية ، فصالحوا على أن يخرجوا منها إلى حيث أرادوا من جزائر الروم ، فاختاروا إقريطش التي سبق لهم أن أغاروا عليها وعلى غيرها من الجزر اليونانية في عام ٢١١هـ، يقودهم أميرهم أبو حفص عمر بن شعيب في أربعين سفينة إلى جزيرة إقريطش، حيث نزلا في خليج سودا ن ويذكر البلاذري أنهم فتحوا من إقريطش حصنا واحدا ، وثم توسعوا بعد ذلك ففتحوا إقريطش حصنا حصنا، حتى أتموا فتحها فيما يقرب من سنة ٢٣٠هـ ، مستغلين في ذلك حالة الضعف التي أصيب بها البيزنطيون في أعقاب فتنة توماس.

وكان طبيعيا أن يلتمس مسلموا إقريطش الأمان في ظل سلطة إسلامية تظلهم بحمايتها ، فدخلوا في فلك الدولة العباسية ثم أخذوا يمارسون نشاطهم البحري ضد البيزنطيين فهاجموا جزر بحر إيجه وهددوا سواحل آسيا الصغرى واليونان وأدرك الإمبراطور ميشيل العموري مدى الخسارة التي أصابت بيزنطة بضياع جزيرة إقريطش التي أصبحت على قول ياقوت ، من أعظم بلاد المسلمين نكاية على الروم ، فبذل محاولات يائسة لاستردادها ولكنها جميعا باءت بالفضل، وادي الفشل المتلاحق الذي منيت به حملاته البحرية على الجزيرة إلى تخليه نهائيا عن فكرة استردادها وما إن كف البيزنطيون عن محاولاتهم لغزو الجزيرة في عهد توفيل حتى تفرغ اهلها لجهادهم البحري وأحرزوا انتصارا على الأسطول البيزنطي بالقرب من جزيرة تاسوس في سنة ٢١٤هـ (٢٨٩م) ، ثم عمدوا إلى مهاجمة سواحل الأناضول وخربوا جزر السيكلاد ، وحاول تيوفيل أن يستثير عليهم الأمير الأندلسي عبد الرحمن الأوسط حتى يجليهم عن إقريطش ،ولكن الأمير الأندلسي اعتذر بأن مسلمي إقريطش وإن كانوا أندلسيين إلا أنهم ليسوا في بلدة ولا برتبته حتى يغير عليهم ويكفيه مؤونتهم ، وواصل مسلموا إقريطش شن غاراتهم المدمرة عل الجزيرة البيزنطية في عهد تيوفيل (٨٢٩-٨٤٢م) وميشيل الثالث (٨٤٢- ٨٦٧م) ، وهاجموا جزيرة ميتلين وأتوس في سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) كما أغاروا على جزيرة نيون، وفي سنة ٢٥٢هـ (٨٦٦م) واتخذوا فيها قاعدة شبه دائمة لهم، وظلوا يشكلون خطرا جديا

على الدولة البيزنطية التي عجزت تماما عن القيام بدفعهم ووضع حد لغاراتهم.

ثم اتحدت جهود غزاة إقريطش مع جهود غزاة طرسوس ، وعلى رأسهم ليو الطرابلسي لتوجيه أقوى الضربات إلى البيزنطيين وبفضل هذا التعاون الوثيق نجح الإقريطشيون وغزاة طرسوس في تدمير سالونيك الواقعة على ساحل تساليا وتمكنوا من أسر ٢٢ الفا من أهلها، بيعوا في أسواق النخاسة بطرابلس وكانديا.

وكان من الطبيعي أن يعمل أباطرة الأسرة المقدونية وأولهم بسيل الأول الذي ظفر بالعرش الإمبراطوري في (٨٦٧م) على حماية الجزر اليونانية من التعرض لغزوات المسلمين عن طريق مزيد من العناية بالبحرية البيزنطية وإنشاء أسطول إقريطش ظل على الرغم من السياسة البحرية للبيزنطيين وبتعاونه الوثيق مع أساطيل الشام ومصر والثغر يشكل خطرا حقيقيا على الدول البيزنطية ، إلى أن تمكن الإمبراطور البيزنطي رومانوس ليكابينوس من الانتصار على أسطول ليو الطرابلسي في سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م) بالقرب من جزيرة لمنوس ، وتحرير منطقة بحر إيجه من غزوات المسلمين ، ومنذ ذلك الحين التزمت الإمبراطورية البيزنطية سياسة بحرية خالصة إذ أن بقاء الدولة البيزنطية أصبح رهينا بتفوقهم البحري على المسلمين ، وعندما اعتلى الإمبراطور رومانوس الثاني العرش البيزنطي في سنة ٩٥٩م ركز جهوده على استرجاع إقريطش وجعل ذلك شغله الشاغل وأهم أهدافه ونجح بفضل براعة قائدة نفقور فوقاس في انتزاعها من أيدي المسلمين بالحرب والجوع ، سنة ٩٦١م(٣٥٠هـ) ، واتبع ذلك باستيلائه على جزيرة قبرص في سنة٩٦٥م. ويعتبر استرجاع البيزنطيين لجزيرتي إقريطش وقبرص من أهم الأحداث السياسية في القرن العاشر الميلاديين إذ أبعد على السواحل البيزنطية خطر الغزوات البحرية الإسلامية، وأعاد للبيزنطيين تفوقهم البحري في النصف الشرقي من حوض البحر المتوسط لفترة قصيرة.